ثغر الأندلس المبتسم

الأمير فتحي عزام

obeikan.com

obeikan.com

خطوات الانكسار الثلاث خطاها، وهوى بجسده الوهن يسنده جدار السجن البارد، الألم الذي أسقطه مضى يمزق جسده قطعة قطعة حتى أصبح كالخرقة البالية.

حاول الدمع أن يعبر عن مدى ألمه ويأسه، لكن جفاف الحلق أبى أن يخرج قطرة واحدة؛ فلم يتذوق الماء منذ يومين، ودمعه جف فتحجرت عيناه.

(سلطان) ابن (الشيخ نعمان) شيخ الجزيرة الخضراء، ينظر إلى خيط من نور قادم في ظلمات السجن، يتذكر الفانوس المعلق على باب بيتهم، يتذكر دليل العزة دليل علي أن في هذا البيت شيخ حافظ للقرآن.

يسوقه لذكريات مشوشة بغشاوة بيضاء، تغطي عينين ذابلتين... يتذكر الجزيرة الخضراء، التي نبتت على جنبيها البيوت البيضاء، ونوافيرها تعلقت حولها زهور الياسمين..

الجزيرة التي تقع على بعد ستة أميال إلى الغرب من جبل طارق، حاصرتها مياه البحر وجيوش جرارة، ذاقت فيها جيوش أوروبا ويلات الحرب.

سنوات الحصار الثلاث كانت كفيلة لبث الرعب في قلوب حكام أوروبا... تلك الجزيرة الصغيرة من مقاطعة قادس في الأندلس، لم تذب أسوارها بين أيديهم، وظلت تؤرقهم، وتقض مضاجعهم حتى سقطت بعد ثلاث سنوات من سلسلة الحروب الطويلة التي سميت بحروب الاسترداد...

أحلام اليقظة التي تنزف في جوف سلطان تقشر ما تبقى من تلك القشرة الرقيقة لحلاوة كانت يوما في أيامه.. ماريان التي علمته فنون العشق في رقتها... طفق يرقب الحركة منها والهدأة...

علمه حبها أن يختلس النظرات...

ويحصي رمال الطريق عددا...

ويرقب أعين أناس الحي...

ويسجنهم بين قضبان الغيرة...

علمه أن يرفرف قلبه مع غطاء رأسها البيضاء وشعرها الحريري...

لـم تكـن لتفـارق ناظريـه وهـو لا يصـغي لأحاديـث الشـيخ نعمـان وأبيهـا الطبيب الأعظم بولس... ما كان يشده فقط وقفتهما الطويلة عند آيات المودة والوئام...

وخـز الألـم ولحمـه المقشـر يحملـه على كفـه، وسـياط التعـذيب تلهـب جسـده السـقيم... كما ألهبه تعـذيبها لقلبه وطيفها ينسـل من جسـدها، يراقص جنونه وهي تميل بجذعها إليه حول النار التي جمعت الكثيرين في ليل بارد، ما يرده سوى خجل يطفو إلى عينيه.

الصرخات من حوله...

الألم في جسده...

ظلمة السجن...

الدماء تغلي في مراجل الرؤوس...

الشواء البشري...

اللحم الممزق...

العظام المتكسرة كالهشيم...

اللوحات الزيتية من حوله بلونها الأحمر، لم ترسم سوى حقيقة أشلاء بشرية رصفت بها أرضية كل مكان يُرصد فيه البشر... وأطعمت للكلاب...

فوق مسامات الروح... يخلد بآلامه وصراخه يمد للفزع مدادًا ومدادًا... وأيّ له من مجيب غير ما بقي من جسد...

الجوع والعطش وما نهب الجسد، جعله ينازع تلك الرغبة في العيش، كما نازعها سجين مثله فأكل من لحم اخيه... وشرب من دمه كما فعلت الكلاب.

عندما تنعدم الرحمة وتقطع حبال الأمل، يصبح الموت هو الرحمة التي ينشدها الكثيرون وقد ظل صفير إناء النحاس المملوء بالزيت فوق الموقد وناره ترسل ألسنتها كما هي فقاقيعه تنتظر الجسد الجديد...

الخيط الفاصل بين الحقيقة والوهم يوقظ لهفة نفسه لمعشوقه... ماريان التي تطفو مراكبه في بحرها العذب، وذلك العالم الوردي الذي كان يقيم بنيانه؛ فانهدم حجرا حجرا...

- سلطان يريد ماريان زوجة...

يحاور أباه يستجديه

يقرأ الشيخ نعمان على ولده آيات من القرآن؛ لعل اللعنة تخرج منه... يقلب بعينيه ولده الماثل أمامه كتمثال من جبس، ويردد: ماريان؟ أجننت؟؟!!

يخرج القلب المعذب عن صمته، وينحت لسانا لتمثاله وينطق متعجبا:

- أبي أتعجب من أمر الله فيّ؟! أزواجي يذهب العقل؟!

يستجمع الشيخ البائس قواه، ويندفع إلى ولده الذي أصم أذنيه... وهو يمسك بكتفي ولده وبزفرة عميقة:

- أستحلفك بالله يا ولدي أن تبعد عنك هذا الهاجس؟ لا بد أنك تتوهم؟ قل يا ولدي أنك كذلك؟ سأزوجك أجمل جميلات الجزيرة الخضراء، بل قادس بل الأندلس بأكملها؟ قل إنك تمازحني وارحم كبري وضعف حالي!!

أذابته كلمات والده الشيخ، ولكنه ظل متسمرًا في بقعته، وهو يبتلع الدموع والكلمات:

ـ لِمَ أيها الشيخ المؤمن تحرم ولدك الوحيد من حلمه، وتحكم عليه بالموت حيًا؟ لِمَ تسوقني إلى هوة العذاب، وتطلب مني أن أرضى بالنصيب؟!

يسير الشيخ مبتعدًا باحثًا عن شيء يتوكأ عليه بجسده، وهو يصفق جنبيه محوقلا

- تسأل وكأنك لا تعلم عاقبة أمرك وأمرنا؟!... الفتنة يا ولدي ما تنوي أن تحرقنا فيها... ألا تعلم أنها إن أصابت قومًا أحرقتهم؟

- الزواج ليس بفتنة يا أبي الزواج عصمة لي ولها.

- الزواج عصمة يا ولدي، إن كان هناك توافق بين الاثنين، في الدين والملة والثقافة والفكر والمال.

- إذن يا أبي أنت تعتقد أن بزواجي بمسيحية ستكون فتنة تدمر جزيرتنا؟

- أنت تعلم يا ولدي، ما تمرُّ به الأندلس في هذا الوقت من ضعف وحروب باسم المسيحية، وإجبار على التنصير، وتأتي اليوم وكأنك لا تعلم شيئا.

- بالعكس يا أبي، إني أنظر للأمر على أنه درء للفتنة، جامع للقلوب بإخاء ومحبة، ووحدة للمسلمين والمسيحيين على حد سواء.

- يا ولدي الأمر ليس كما تقول، افهم الأمر جيدًا واعقله... بزواجك من مسيحية يجعلك متهمًا بأنك ستأخذ منهم امرأة وأولادها إلى دينك، وهو لهم كمن فرط في أرضه وعرضه برضا.

- أبي لقد اتفقت وماريان وتعاهدنا أن نبقى معًا، ولن يفرقنا أحد، وستقف أمام أبيها الطبيب بولس، وستواجه رفضهم بشجاعة... وها أنا ذا بين يديك أناقشك... ولن أتخلى عنها مهما كان الأمر.

- إنك تجادل ولا تناقش يا قرة عيني... امرأة أحببتها وأذهبت عقلك.

-لا يا شيخ نعمان، لا يا أبي. لم تذهب عقلي... فقد علمتني أن ديننا مودة ومباح للمسلم أن يتزوج من أهل الكتاب.

- نعم يا ولدي حلال شرعًا، ولكنه ليس مستحبًا، لأن هناك صغارًا سيولدون... قل لي بالله عليك على ملة من سيكون أبناؤك؟؟ وإن كانوا على ملة الإسلام فهل سترضى أمهم؟ وإن رضيت... فهل فكرت في

مشاعرنا؛ هل فكرت بهذا الجد البائس؟! أتوسل إليك يا ولدي أن تصرف عنا هذه الفتنة ودعك منها.

- أبي لَمَ لا....

صوت طرق مفزع على الباب، يقطع آخر كلمة كان يود قولها لينتهي الأمر... ولكنه أنبت الذعر في قلب أبيه، وقد هوى قلب الشيخ إلى أخمص قدميه...

سلطان بابتسامته التي رسمها على وجهه يقول: أبي إنه ليس (الفونس) حاكم فستالة، بل هي أمي زوجتك، ألم تعتد الأمر بعد؟

الابتسامة التي ارتسمت على وجهه، وهو بين شقي العذاب... جعلته يلتقم جنونه أعادته من أحلامه...

. ما بك أأصابتك حمى الجنون؟!

هذا السؤال أطفأ تلك الابتسامة التي رسمها سلطان على وجهه وأعادته، لحمى التعذيب في سجن بلغ فيه الفزع والجنون مبلغه... أمال برأسه ليرى رجلا في العقد الرابع من عمره، يطيل إليه النظر، سرى الشك في نفسه وقد ارتاب بمنظر هذا الرجل ذي الشعر الأشقر،

الذي لم تظهر عليه علامات التعذيب، فرسم دوائر شكه بأن يكون هذا الرجل جاسوسا للكنيسة؛ ليعرف من تنصر منهم ومن يخفي إيمانه، ويظهر الصليب أمام أعين الحراس... أو ربما حارسا سيكيل له فيما بعد العذاب.

لم يعرف سلطان أن هاتين العينين الصغيرتين كانتا ترقبانه منذ قدومه لهذا السجن... ما تعجب منه هو الوشم على كتفه لصليب صغير..

حاول سلطان أن ينأ بنفسه عن هاتين العينين المعلقتين به... لكن صاحبهما وضع يده بلطف على جسد سلطان المليء بالجروح والقروح... ظل سلطان منكمشًا على نفسه رغم وجعه، وأبقى صرة عينيه على ذلك الوشم في كتف ذلك الغريب.

بصوت رزين هادئ وكأن شيئًا مما هم فيه من فنون التعذيب لا يعنيه قال: أنا القس يوحنا قس طليطلة...

انزعج سلطان وأصابته رعشة سرت في جسده الهش، وعقله لم يستطع سوى التكهن بكذب هذا الرجل... فأيُّ أخرق هذا الذي

سيصدق أن قسًا نصرانيًا بينهم... وإن كان كما يقول فأين آثار التعذيب؟!

- هل تسخر مني أيها اليوحنا؟!

ابتسم القس وأسند ظهره إلى الحائط ليلاصق كتفه بكتف سلطان، الذي اندلعت في جسده حمى الألم والخوف معًا.

أتاه صوت القس من بئر عميقة، وهو يلامس بكلماته شغاف القلب...

- مسلم ومسيحي... بعقيدتين... نكفر بعضنا... ونئن بذات سياط التعذيب. وقد ربينا معًا ومشينا في ذات الطريق، وأكلنا من نفس الطعام واحتسينا الماء معًا، لم يكن يومًا يأتي بخاطر أحد منا أن نقتل بعضنا بعضا بسبب اختلاف العقيدة... وبعدئذٍ نقتل بعضنا باسم الرب... وباسم الدين... وباسم العقيدة... لكنك لا تعلم أننا نقتل باسم الرغبة، الرغبة في السلطة، والرغبة باسم الحرب... الحرب باسم الأرض...

جاءت كلماته وكأنما تطهر تلك الجروح التي مرت على جسده كالطاعون...

- ما الذي تقوله أيها القس...؟ أهو وقت الخطب والمواعظ أم تراك عاشق لفكر الحكمة والفلسفة...؟!

تنهد القس وتمتم: ربما من عشقي للفلاسفة العرب... أتعرف أنني لم أُخفِ يومًا انبهاري بحضارتكم الإسلامية؟

- قل لي بربك لِمَ أنت هنا؟!

- أيمكن أن يكون خادمًا للرب وقاتلًا في نفس الوقت؟! إن الرب محبة، والمحبة لا يمكن أن تستلذ بطعم الدم... حملات التنصير والتعذيب والقتل كلها خارجة من قانون الرحمة والمحبة، إن الرب ينظر لقلبك الصغير، وليس لزينة وجهك... والقلب الصغير يجب أن يكون مليئًا بالمحبة.

- يا إلهي كل الأديان أرسلت رحمة للبشر.. يا لعظمة الله.

- ولكن إن كنت حقا كما تقول لم يعذبك هؤلاء؟؟!

- آه يا أخي... من تراهم أمامك ما هم سوى منفذين لأوامر باسم الحاكم واسم العرش، وويل لمن نصَّب نفسه إلهًا يقيم الباطل باسم

الحق... وهؤلاء الجنود يعرفون أن الدين حق والقس يوحنا هو مقيم لدين الحق...

فلم هو هنا؟!

هؤلاء يدركون أن هناك خطأ ما... لكنهم لا يعرفونه... وأنا على يقين أنهم لو عرفوه لرفضوا استبداد الحاكم وظلمه بي وبك.

هؤلاء هم عبدة الحاكم، هؤلاء هم من يشعلون نار الجهل في كل مكان.

- صدقت يا أخي... وهؤلاء يشفقون عليّ بإطعامي ولكن إلى متى سيطول الأمر؟!

- يكفيني أني أعرف نهايتي... إلى قبر يؤويني وأنا على ديني... ولئن فارقتني جنة الدنيا فعند الله الجنان.

ابتسم القس يوحنا وأومأ برأسه: نعم صدقت... إنها الجنان.

obeikan.com

الرهبان بردائهم الطويل، وأقنعتهم التي يرتدونها على الرؤوس؛ فلا تبين وجوههم، تشبه قرطاسًا مدببًا له فتحتان عند العينين؛ كي يرى منهما الراهب، تتلون تلك القراطيس بألوان الأحمر والأبيض والأخضر.

يسيرون وهم يحملون الإنجيل والصلبان، بين جثث القتلى والمعذبين بخطوات وئيدة، وتراتيلهم تصدح في عتمة السجن، مختلطة بصرخات التعذيب.

يساق إليهم الكثيرون، فيخيرونهم بين دين الكنيسة وبين الموت... بين أن يكفروا بمعتقدهم أو يقتلوا بآلة التعذيب.

الكثيرون ممن تاهوا في دنياهم واختلطت عليهم الصور، فضلوا البقاء الآمن فأعلنوا تنصرهم وآمنوا بدين الكنيسة... لكنهم كانوا أول من سيق إلى فنون العذاب...

منهم من دقت أجسادهم على الجدران بمسامير في أطرافهم...

ومنهم من صفيت دماؤهم...

ومنهم من مزقت أحشاؤهم...

ومنهم من أحرقوا وهم أحياء...

وبقي الرهبان بتلك الفتحتان، ينصتون برهبانية للصرخات التي تزيد من تراتيلهم، وهم يقرون بقانون الرب... وقد وقف السجناء ممن ألفوا العذاب، واستعصموا بأمر الله صفًا واحدًا، وقد غابت صورة القس يوحنا عن أنظار الرهبان.

سلطان... لم يعد يرى سوى نهايته لكنه كان يأمل أن يمنح ما تبقى له من حياة للقس، فوقف صلدًا منتصبًا رغم ما به من سقم..

بدأ الجنود باختيار خمسة من السجناء الممتلئة أجسادهم؛ لاقتيادهم إلى الخارج.

ساعات من التعذيب للأجساد الخمسة، مضت بمضي الرهبان، وهم يرتلون أدعيتهم للرب بالغفران...

لم يكن الخوف ليفارق سلطان والقس يوحنا، رغم مغادرة الرهبان السجن... كان يمكن لهما أن يبتلعان مخاوفهما، ولكن اقتراب حارس قوي البنية منهما؛ جعل سلطان يطيل في قراءة آيات من القرآن... لم

يفتح عينيه وأصمّ أذنيه، جلوسه إلى جانبهم لم يكن مفهومًا... تفقده لتلك الكدمات الخفيفة في جسد القس يوحنا... دموعه التي ذرفها في صمت... أسفه الحزين:

سيدي وابن سيدي، أطلب منك الغفران، أنت تعلم أنني مجبر على ذلك.

- أعلم جيدًا صديقي العزيز وسأطلب الغفران لك من الرب.

المشهد الذي أصاب سلطان بالدهشة جعله يخرج عن صمته.

- صديقك... هل الحارس صديقك؟؟

دهشته اختفت مع الشرر الذي رآه في عينيّ الحارس، والذي لم يكن سوى وعيدًا بالانتقام... لكن القس ربت على كتف الحارس وأخبره أن سلطان صديق له.

وقال بصوت خفيض:

سلطان لم يفعل لي ولك وللرهبان شيئًا، وكذلك المسلمون الذين سكنوا هذه الأرض وحولوها إلى جنة خضراء... لكنهم لم يحافظوا على

نعم الرب بل فرقتهم أطماعهم، وأطلقوا العنان لأمانيهم التي أهلكتهم... ولتعلم يا صديقي المسكين أن سلطان هذا أخي في دين السماء لن أتخلى عنه ما حييت...

- أيها القس سيدي وابن سيدي... سأكون حارسك وحارسه بأمر الرب... لقد جئتك بخطة للهرب من جحيم العذاب...

كان لهذا النبأ وقع الصاعقة على سلطان والقس يوحنا، الذين عقدت المفاجأة لسانيهما... حتى خرج القس عن صمته، وقال بصوت قد جف ريقه:

خطة للهرب؟! كيف هذا؟ هل جننت؟! سيقتلونك.

- أتحدثني عن الموت يا سيدي، وأنت تعيشه في كل لحظة ولا تخشاه؟! كيف لي أن أكون أشجع منك وأنت اخترت الموت ولم اختره...؟!

- أنت الحارس، فأنت تمتلك الحياة والمستقبل، أما نحن فننتظر الموت.

قاطعه الحارس بدهشة: تتسابق أنت والمسلم إلى الموت، وهناك خلاف بينكما وقد يكون لكما نصيب في الحياة... واعلما أن لكل أجل كتاب، فلتهدئا فالأمر كله للرب...

- صدقت أيها الحارس إنك لتنطق بالحكمة، فالحياة لا قيمة لها، إن لم نر الموت في نهاية طريقنا... وليمنحنا الرب الصبر.

نظر سلطان إلى القس بعد أن أنهى حديثه، وابتسم وهو ينظر مليًا إليه: تبًا لفلاسفة العرب لقد جعلوا من كل فرد في الأندلس فيلسوفًا.

الضحكات التي علت على استحياء في عتمة السجن من أولئك الثلاثة الذين تعلقت آمالهم بالرب، سلطان الذي سجن لأنه عشق وأراد السلام... والقس يوحنا الذي سجن لأنه أراد أن يرفع الظلم لأن الرب محبة... والحارس الذي حمل روحه على كفه محبة للرب...

في النزر الأخير من المشعل رسم الحارس خطة الهرب.

القلعة المطلة على البحر، فيها الكثير من الحجرات، حجرة واحدة كانت تعنيهم، وهي حجرة الحراس... وفيها منفذ يطل على البحر، ويبعد عن سطح البحر قليلا، ولكن يمكن لهما النفاذ منها... عليهما أن يتبعا خطته بحذافيرها..

غـدًا عنـدما تمتلئ السـجون بـالكثير مـن المسـاجين الجـدد، سـيطلب الحارس من أحد أصدقائه من الحراس، أن يدخلهما إلى غرفة الحراس بحجة امتلاء السجن.... ومن هناك ستكون فرصتهما للنجاة...

أسـرّ ثلاثتهم مخـاوفهم وهـم يقلبـون بين يـدي المـوت... تـارة في السـجن وتارة للهروب منه...

الأدعيـة التي كانـت تشـق الجـدران الكلسـية، والتي سـكنها الخـوف والجزع، ودفع بالكثيرين فيها إلى الموت بالمجان... كانت تحلق في السماء الباكية، وقد سكنتها سحب سوداء اعتصرت لدعوات الكثيرين...

- اللهم أكرمنا ولا تهنا...

- اللهم فرج كربنا، ويسر أمرنا...

- اللهم قربنا إليك...

- اللهم لا ملجأ منك إلا إليك.

الصـلوات والأدعيـة المرسـلة إلى السـماء، لـم تكـن تفـرق بـين صـلاة مسيحية أو يهودية... كلها كانت للرب...

الخيوط الأولى من الفجر نسجت ثوبًا مليئًا بالأمل ومعشقًا بالخوف...

هل يتهادن الموت والحرية؟؟

هل سيزفون إلى أحلامهما بالنجاة؟!

إيمان ترسخ بقلب سلطان بأنه خارج اليوم لا محالة، سيغادر أسوار هذا البلاء بعد ساعات معدودة... وسيحمل كفنه بيمينه إما إلى قبر وإما إلى بقاء.

الخطة التي رسمها لهما الحارس سارت كما خطط... الوجوه الحزينة التي ألقي بها إلى غياهب السجن كانت تستجدي رحمة السياط وتئن من لهيبها...

كيف للحزن والفرح أن يجتمعا معا في نفس سلطان... الحزن على أبناء دينه، وهم يساقون إلى العذاب سراعًا... وفرحه لحبل النجاة التي ألقيت إليه من السماء...

القلق الذي ارتسم على وجه القس يوحنا ظهر جليًا لسلطان... فجعل يقلب المكان بعينيه باحثًا عن صديقهما الحارس الذي لم يظهر بعد... والسؤال الذي يدور في بالهما...

- هل انكشف أمره؟ هل قتلوه؟!

صوت أحد الحراس جاءهم جليًا وكأن ساعة الصفر قد حانت...

- السجن يكتظ بالبشر، علينا التخلص من بعضهم ...

أجابه حارس آخر: وماذا نفعل؟

جاء جوابه بضحكة مجلجلة أوهنت مفاصلهم: الأمر بسيط... الأسود والضباع وأيضا الكلاب لم تتناول فطورها بعد.

علت قهقهة الحراس وهم يتبادلون عباراتهم الساخرة...

- كنت أتمنى أن أحضر لها وجبة شهية وطازجة من هؤلاء الثمانية من موفوري الصحة واللحم... لكنك تعلم أن الرهبان يريدون التمتع بتعذيب هؤلاء المرتدين، لذا سأختار من هؤلاء المنزوع من لحمهم ليكونوا وجبة الأسود والضباع.

أخذ أحدهم الكثير من السلاسل الملقاة على أرض السجن... المقيد بها السجناء، وجرّ خلفه عددًا منهم وهم يجرون السلاسل في أيديهم... ومضى بهم خارج السجن...

كان من بينهم القس وسلطان مكبلين بالسلاسل من أقدامهم، ينزع جلد ظهورهم قطعة قطعة بالاحتكاك بأرض السجن.

ابتسامة علي وجه سلطان، ألم وحسرة علي وجه القس، تحول إلى تعجب من ابتسامة سلطان، نظر إليه تبادل سلطان معه النظر، رأي نظرة تعجب في وجه القس، تتطلع سلطان إلى السماء، أشار بإصبعه إلى السماء، تفهم القس الإشارة؛ إنه ينظر إلى الله يعلم أنه اقترب من لقاء الله، فرح بلقاء الله، أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه.

السلاسل التي لا يسمع سوى صوتها كانت تسيرهم إلى حيث لا يعلمون... زئير الأسود ونباح الكلاب كان يهفو إلى أسماعهما... حتى اقتربوا جميعهم من الفرجة في نهاية الدهليز الطويل... حيث كانت الضباع والأسود والكلاب تنتظرهم اللعاب يسيل من أشداقها...

الأنفاس القليلة التي حبساها في رئتيهما كانت قبلة الحياة الأخيرة...

توقفوا جميعهم صفًا جانب الجدار، وكان الراهب وحارس آخر يشير بيده إليهما...

- سيكون الدور عليهما أدخلهما إلى ذلك السبع، الذي للتو انتهى من الحارس الخائن... لعلهما يقضيان ساعات جميلة معه... الرعب الذي ستعيشانه ستحيكانه لي في الآخرة...

صمت قليلًا ثم أردف: وكيف سألتقي بكما... فأنتما في جهنم وأنا في الجنة... لا بد أن الشمس الحارقة هذا اليوم أفقدتني صوابي...

وما أن انتهى من كلامه؛ كان الحارس قد ألقى بهما في غرفة، يرقد فيها سبع قد أرخى جفنيه وبقربه كومة من العظام...

المنفذ الصغير كان يحمل إليهما كومة من أشعة الشمس ونسيم البحر... ورائحة الملوحة... وصوت البحر...

الهاجس الذي تملك كلًا منهما؛ بأن كومة العظام تلك لم تكن سوى للحارس المسكين... نظرات السبع الرابض في أرض الحجرة ابتلع هواءها، وبقيت أوصالهما ترتجف منتظرة أن يفيق من شبع إلى جوع فيلتهمهما على مهل.

اللحظة التي تلامس خط النهاية جعلتهما يلتهمان الفزع، ويسقطان تلك القشة بعد أن سقط حبل الأمل من السماء...

. مرحبا بكم أيها الأصدقاء لقد انتظرتكم كثيرًا... جاءهما صوته وكأنه غيث فأحيا الأرض بعد موتها...

فزعوا ظنوا أن السبع يحادثهم، لكنهم وجدوا الحارس يجلس في جانب الحجرة يحادثهم...

لم يكن أمام ثلاثتهم الوقت الكثير ليضيعوه... فكان عليهم أن ينفذوا الجزء الأصعب منها... وأمنية عالقة بين السماء والأرض، بأن يتم كل شيء ولترحمهم السماء...

السياج الحديدي الذي يسد المنفذ الصغير كان جاهزًا لتتم إزالته، فقد كان الحارس الوفي قد أمضى ليلة في إزالة مسنناته التي تقبضها الجدران... ولم يكن عليه الآن سوى أن يزيله من مكانه... ودع الحارس السبع وهو يحضنه، وقد خيّل إليهما أنهما قد رأيا دموعًا تترقرق في عينيه.

نظر إليهم الحارس ليزيل الغموض المرسوم أمامهم:

إنه صديقي لا تخافا، لقد ساعدني في نزع هذه السياج.

الأجساد الثلاثة التي ملأت رئتيها بالهواء المحمل برذاذ البحر.. أسقطت نفسها في البحر العميق...

لم يكن أيٌّ منهم يعلم إن كان البحر سيكرم ثلاثتهم؛ ليحملهم بلجته إلى مصر، حيث يمكن لهم أن يعيشوا سويًا كشعب واحد... لا يُظلم فيه أحد... كما عرفوا عنه إكرام الأقباط واحترامهم....

شعلة الأمل التي أضاءت صدورهم، كانت تحمل حنين الرغبة... الرغبة في العيش بوئام.

تمت

obeikan.com